

تمهيد:

يعد البحث الوثائقي ركيزة أساسية في المنهجيات العلمية، فهو يقوم على جمع وتحليل وتقييم مصادر المعلومات المتاحة للوصول إلى استنتاجات دقيقة بهدف بناء معرفة منظمة. وأمام حاجة البحث الوثائقي إلى الإلمام والفهم الجيد لطبيعة المصادر وطرق اختيارها وتوظيفها بشكل علمي، خاصة في ظل الزيادة الهائلة لهذه المصادر وتنوع وسائطها وأشكالها، كان لابد من اعتماد أدوات ضبط ببليوغرافي تعمل على حصر مختلف مصادر المعلومات المتاحة وتيسير سبل الوصول إليها والتعريف بها، حيث تبرز الببليوغرافيا في هذا السياق بوصفها أداة مركزية في البحث الوثائقي لما لها من دور في حصر الإنتاج الفكري وتوجيه الباحث نحو المصادر الموثوقة وتفادي التكرار العلمي. ومع تطور البيئة الرقمية وتوسع البحث الوثائقي ليشمل مصادر الويب برزت الويبوغرافيا كامتداد حديث للببليوغرافيا فهي تعنى بحصر، تنظيم، والتعريف بالمصادر الإلكترونية الشبكية. وقد تعزز البحث الوثائقي بالانتقال (من الببليوغرافيا إلى الويبوغرافيا) بأساليب وممارسات بحث جديدة تتلائم مع حاجات الباحث والطرق المستحدثة في تنظيم وحفظ واسترجاع المعلومات. فما المقصود بالببليوغرافيا (Bibliographie) ؟ وما معنى الويبوغرافيا (Webographie) وما تأثير هذا الانتقال على البحث الوثائقي؟

أولاً: الببليوغرافيا

1. تعريف الببليوغرافيا:

كلمة الببليوغرافيا: من أصل يوناني، مركبة من كلمتين:

- **Biblio**: وتعني "كتيب" وهي صورة التصغير المأخوذة من "biblios" كتاب.

- **Graphia**: وهي اسم الفعل "graphien" بمعنى "ينسخ" أو "يكتب".

الببليوغرافيا لغة:

الببليوغرافيا في أصلها اللغوي تعني "كتابة الكتب" أو "نسخ الكتب"، وقد تغير معناها بعد القرن السابع عشر إلى مدلول فكري عام وهو "الكتابة عن الكتب".

يشار إليها في المعاجم بأنها: "دراسة الشكل المادي للكتب" أو هي "إعداد قوائم الكتب" أو "بيان بالمؤلفات الحديثة".

والببليوغرافي هو "المتضلع في معرفة الكتب". واستعملت كلمة الوراقة كبديل للببليوغرافيا في اللغة العربية.

الببليوغرافيا اصطلاحاً: وردت عدة تعاريف للببليوغرافيا منها:

- "هي علم وصف الكتب والتعريف بها ضمن حدود وقواعد معينة..."
- "هي علم مستقل من أهم فروع علوم المكتبات والمعلومات يتناول الإنتاج الفكري للإنسان الذي يتزايد باستمرار".
- "دراسة الكتب بوصفها موضوعات مادية بعيدا عن موضوعها أو محتواها الأدبي".
- وردت الببليوغرافيا في معجم مصطلحات جمعية المكتبات الأمريكية بأنها: "العلم أو الفن الذي يهدف إلى إعداد قوائم الإنتاج الفكري تحقيقاً لأغراض معينة.."، كما تعني كذلك "فن وصف الكتب بصورة صحيحة".
- الببليوغرافيا هي "البحث عن الكتب وتصنيفها حسب مناهج محددة، من أجل استعمال تجاري أو علمي".
- الببليوغرافيا عمل يتعلق بمرحلة ما قبل البحث... لأنها تيسر الوصول إلى أهم الأعمال المتصلة بموضوع معين.
- "قوائم المؤلفات التي يعتمد عليها كاتب في بحث أو رسالة جامعية" أو هي "فهرسة بأسماء الكتب والمؤلفين".

ويمكن استنتاج تعريف للببليوغرافيا بأنها:

علم مستقل مجاله الإنتاج الفكري المكتوب، حصراً وتحقيقاً وجمعاً وتأريخاً وتصنيفاً وتوثيقاً ووصفاً، له قواعده وفلسفته، وله ضرورته الملحة اليوم أكثر من أي وقت مضى، للتدفق والانفجار الذي تعرفه مجالات المعلومات والمعرفة الانسانية والوسائل المعلوماتية فهو العلم الوحيد القادر على ضبط هذا التدفق وهذا الانفجار.

تكتسي الببليوغرافيا أهمية بالغة في مجال البحث الوثائقي التقليدي أو إلكتروني، حيث تعتبر عماد البحث العلمي، إذ تهتم بإعداد قوائم الإنتاج الفكري، إعلام المستفيدين بها وبالتالي تسمح بالتعرف على مختلف مصادر المعلومات والوصول إليها لاستغلالها في إنجاز البحوث العلمية بمختلف التخصصات الموضوعية.

2. أهداف الببليوغرافيا:

- تعتبر الببليوغرافيا أداة أساسية في عملية البحث العلمي، لأنها عبارة عن قوائم وصفية لمصادر الفكر الإنساني، قديمة أو حديثة كانت، تعطي بيانات منظمة لمواد منشورة أو غير منشورة في شكلها الورقي أو الإلكتروني. وقد تعالج كل أنواع مصادر المعلومات بمختلف أشكالها، ومن بين أهم أهدافها:
 - جمع المعلومات حول المؤلفات مهما كان نوعها، وتنظيمها لتسهيل عملية التعريف بها.
 - مساعدة القراء للتعرف على مواد المعرفة في مجالات تخصصاتهم واهتماماتهم.
 - تدعيم مبدأ زيادة التعمق في التخصص الموضوعي، والتخصص العلمي و الحصول على معلومات من أفضل المؤلفات، في موضوعات محددة، ومن أفضل الطبقات.
 - المساهمة في التقدم العلمي والحضاري والثقافي للمجتمعات عن طريق حصر الإنتاج الفكري القديم والحديث، تسجيله، وحفظه.
 - التحقق من المؤلفات من حيث مؤلفيها، وأماكن نشرها، وناشريها، ...الخ.
 - معرفة الاتجاهات الحديثة في التأليف والموضوعات التي كتب فيها من قبل.
 - تسهيل تبادل المعارف والإنتاج الفكري بين الأمم والشعوب، ودعم التعاون والتنسيق بين المكتبات ومراكز المعلومات في عدة جوانب منها الإعارة والاقتناء،...الخ، وبين الباحثين في كافة الميادين.
 - مساعدة دور النشر في أغراضها التجارية، والتعريف بمنشوراتها وتسهيل بيعها.
 - مساعدة المكتبيين في عملية تنمية المجموعات (الاختيار، التزويد).
 - إجراء دراسات إحصائية، تاريخية ونقدية حول الإنتاج الفكري العالمي في مجال معين مثل الدراسات الببليومترية أو الببليوغرافيا الإحصائية.
- ### 3. أهمية الببليوغرافيا في مجال البحث الوثائقي:

- تعريف الباحث بالمصادر المختصة بموضوع بحثه عبر كل الإمتدادات التي يرغبها: زمنيا، مكانيا، لغويا وموضوعيا.
- تجنب الباحث التكرار، عبر إتاحة التعرف على الدراسات السابقة في المجال.
- مساعدة الباحث على اختيار وإنتقاء المصادر التي يريدها، وإرشاده إلى مصادر أخرى لا يعلمها.
- تمكن الباحث من التحقق من معلومات معينة والعمل على استكمالها أو تصحيحها.
- تعتبر الببليوغرافيات مفاتيح مصادر المعلومات، فهي توفر الجهد والوقت والتكاليف وبالتالي إنجاز بحوث بشكل أسرع، أشمل، أدق وأكثر كفاءة).
- تعزز جودة البحث العلمي من خلال الإعتماد على مصادر علمية موثوقة.

4. ترتيب الببليوغرافيا: يختلف ترتيب الببليوغرافيا باختلاف طريقة ترتيب البيانات أو المعلومات أو مداخل بطاقات الفهرسة:

- الترتيب الهجائي: باعتماد الحروف الهجائية (أ،ب،ت،ث،ج،ح...)، والذي يختلف عن الترتيب الأبجدي.
- الترتيب الزمني أو التاريخي: يتم ترتيب الوثائق حسب تاريخ صدورها أو حسب مضمونها التاريخي.
- الترتيب القاموسي: هو ترتيب يجمع في قائمة واحدة كل المداخل في ترتيب هجائي واحد وتقدم بالتالي جميع احتمالات البحث سواء كان بحثا بالمؤلف أو العناوين أو المواضيع.
- الترتيب الجغرافي: ترتب المصادر جغرافيا حسب مكان نشر الوثائق أو المضمون الجغرافي للوثائق.
- الترتيب المصنف: هو ترتيب يأخذ بعين الاعتبار تصنيفا معيناً مثل تصنيف ديوي العشري .
- الترتيب الرقمي أو العددي: وهو ترتيب حسب رقم البطاقات.

5. أنواع الببليوغرافيات:

الببليوغرافيات عديدة ومتنوعة حسب الأهداف التي ترمى إليها والمغزى من إعدادها، وتقسم تبعاً لمعايير عديدة أهمها: معيار طبيعة التغطية للمصادر المجمعة فتكون إما:

- ببليوغرافيات عامة.
- ببليوغرافيات محددة أو متخصصة.
- الببليوغرافيا العامة: تشمل جميع أنواع الإنتاج الفكري بمصادره المتعددة: كتب، دوريات، مصغرات، خرائط، وأفلام...الخ، كما تشمل جميع موضوعات المعرفة الإنسانية، واللغات البشرية، فهي لا تخضع لأية حدود أو قيود موضوعية أو لغوية أو نوعية. وتندرج تحتها عدة أنواع:
- الببليوغرافيا العالمية: ترصد الإنتاج الفكري بجميع أنواعه المادية وأوعيته، تخصصاته ولغاته، أينما كانت أماكن صدوره، بعيداً عن أية حدود أو قيود.. وهي صعبة الإعداد.
- الببليوغرافيا الوطنية: هي قوائم المؤلفات التي تصدر داخل كل دولة، أو ذات صلة بها، مهما كان نوع هذه المؤلفات: كتب، مطبوعات رسمية، نشرات علمية وغيرها، تصدر هذه الببليوغرافيا عن جهة رسمية مسؤولة داخل كل دولة، تتمثل عادة في المكتبة الوطنية، التي تكون في نفس الوقت مركزاً للإيداع القانوني.
- الببليوغرافيا المنتخبة: تعتمد مبدأ الاختيار من بين المؤلفات العامة وليس مبدأ الحصر، أي أنها تختار مؤلفات من مختلف العلوم لأهداف ترتبط مباشرة بالمستفيدين، سواء كان ذلك على أساس

- أهميتها، حدثتها أو أية غاية أخرى. تكون هذه القوائم عامة ذات طابع تربوي أو تثقيفي (ببليوغرافيا حول قضايا عالمية..)
- الببليوغرافيا اللغوية (التجميعات اللغوية): تقوم برصد المؤلفات الصادرة في لغة معينة، مهما كانت أماكن صدورها، مثل ببليوغرافيا الكتب الصادرة باللغة الإنجليزية.
- الببليوغرافيا التجارية: قوائم عامة لمنشورات في موضوعات مختلفة، تصدر لأغراض تجارية، أي يقصد بها التعريف بما يصدر عن دور النشر من مؤلفات.
- الببليوغرافيا الإقليمية: تهدف إلى التعريف بالإنتاج الفكري الخاص بالمنطقة أو الإقليم، بشكل منظم.
- الببليوغرافيات المتخصصة: ببليوغرافيا تعرف بمؤلفات محددة في حدود معينة، سواء موضوعية، زمنية أو مكانية، وما يميزها عن الببليوغرافيات العامة:
 - تضع حدود التخصص الموضوعي كأساس أول وكمبدأ أساسي.
 - ليست ذات طابع شمولي بل كل نوع موجه إلى شريحة معينة من القراء وفئات خاصة من المستفيدين.
 - انطلاقاً من طابعها المتخصص تختار أوعية المعلومات ومحتوياتها، بحيث لا تنحصر في الكتب وعناوين الدوريات فحسب، بل تتعداها إلى حصر أوعية المعلومات المختلفة الأخرى مثل: المصغرات، الميكروفيش، الميكروفيلم، الأشرطة المختلفة، الخ. (مؤشر على قيمة وأهمية الببليوغرافيا المتخصصة).
 - ومن بين أنواع الببليوغرافيات المتخصصة نجد:
 - الببليوغرافيا الموضوعية: تهتم بحصر الإنتاج الفكري المتعلق بموضوع معين.
 - ببليوغرافيا الأفراد: تقوم برصد مؤلفات العلماء والمفكرين والمبدعين، والتعريف بأعمالهم أو بالأعمال التي تحدثت عنهم. وتسمى أيضاً ببليوغرافيات السير، أو التراجم. ومن أمثلتها نذكر مؤلفات الغزالي، مؤلفات عباس محمود العقاد،... الخ
 - الببليوغرافيات الزمنية: لها حدود زمنية، أي تواريخ صدور المؤلفات المجمعة، وهي ثلاثة أنواع: (الببليوغرافيا الجارية التي تصدر بشكل دوري، الببليوغرافيا الراجعة التي ترصد الإنتاج الفكري السابق، الببليوغرافيا المستقبلية التي ترصد الإنتاج الفكري الذي تم إيداعه في دور النشر وسيصدر لاحقاً).
 - ببليوغرافيات الأجناس الأدبية: قوائم متخصصة في المجالات الأدبية باختلاف أشكالها مثل: الشعر، القصة، الرواية، أو الأعمال المسرحية.
 - ببليوغرافيات المناطق: ترصد المؤلفات الصادرة في مناطق جغرافية معينة أو الأقسام الإدارية داخل كل دولة.

كما تقسم وفقا لطريقة تنظيمها واستخدامها إلى عدة أنواع من أبرزها:

الببليوغرافيا الوصفية (Descriptive bibliography): تصف الخصائص المادية للمصدر.
الببليوغرافيا التحليلية (Analytical bibliography): تتجاوز الوصف إلى تحليل المصادر ونقدها.
الببليوغرافيا الموضوعية (Subject bibliography): تهتم بحصر المصادر التي تهتم بموضوع معين.
الببليوغرافيا المنهجية (Methodological bibliography): تعتمد منهجية معينة في تنظيم المصادر: المعيار الزمني، المكاني، تبعا للمدارس الفكرية...

ثانيا: الويبوغرافيا

1. ظهور الويبوغرافيا:

- الويبوغرافيا مصطلح جديد يدل على قوائم منظمة ومرتبطة للإنتاج الفكري في شكله المحوسب، الرقمي أو الإلكتروني،
- عبارة عن حصر للمواقع الافتراضية على الأنترنت لتسهيل عملية الوصول إلى كل المعلومات الخاصة بها والكتابة عليها عن طريق إعداد قوائم آلية تسمح بالتعريف بها وإتاحة استرجاعها،
- فالويبوغرافيا تنتقل من مرحلة الكتابة عن كل ما هو مطبوع واقعي إلى ما هو مكتوب افتراضي، هذا التحول جاء بالموازاة مع تطور شبكة الأنترنت وتحكمها وإدارتها للمعلومات من حيث المعالجة، التخزين وطرق البحث عنها واسترجاعها،
- وقد أتاح التحول والانتقال من الطريقة التقليدية المعتمدة على الببليوغرافيات إلى الطريقة الحديثة المعتمدة على الويبوغرافيات: الوصول المباشر إلى المعلومات من خلال مواقع ببليوغرافية متعددة التخصصات، واسترجاع المعلومات الببليوغرافية عبر المواقع الإلكترونية لمختلف المؤسسات الوثائقية بالإستعانة بأدوات بحث كمحركات البحث، الأدلة، البوابات الإلكترونية، الفهارس الآلية على الخط....

2. أنواع الويبوغرافيات:

- الويبوغرافيات العامة: تحصر مصادر إلكترونية تغطي مواضيع متنوعة: الموسوعات الرقمية، مواقع أكاديمية شاملة..
- الويبوغرافيات المتخصصة: تحصر مصادر إلكترونية تتناول مجالا معينا: الطب، علم الاجتماع..
- الويبوغرافيات المؤسسية: تجمع مصادر إلكترونية مرتبطة بمؤسسات أكاديمية أو بحثية: الجامعات، مراكز بحوث، مكتبات رقمية....

3. أهمية الويبوغرافيا:

- تسهل الوصول إلى المعلومات الحديثة وتخضع للتحديث بشكل مستمر.
 - تغطي مصادر متنوعة: مقالات، كتب إلكترونية، مدونات، تقارير بحثية على الخط.....
 - توفر إمكانية الوصول عن بعد وبالتالي لا حاجة للتواجد الفعلي بالمكتبة.
 - تتيح متابعة آخر التطورات في مختلف المجالات العلمية.
- وبالتالي فالويبوغرافيا تختلف عن الببليوغرافيا من حيث نوع المصادر التي يتم حصرها ومداها الزمني، وتيرة التحديث، إمكانية الوصول ومدى الموثوقية.

4. مراحل الانتقال من الببليوغرافيا إلى الويبوغرافيا وملامح التأثير على البحث الوثائقي:

يمثل الانتقال من الببليوغرافيا إلى الويبوغرافيا تحولا جوهريا في تنظيم واسترجاع المعلومات، خاصة في مجال البحث العلمي والمكتبات. يمكن تلخيص هذا الانتقال في عدة مراحل:

1.4. المرحلة التقليدية (الببليوغرافيا الورقية): تشمل قوائم تنظم المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع معين، وتحصر عادة الوثائق المطبوعة مثل الكتب، مقالات الدوريات، الرسائل الجامعية.... باعتماد الوصف الببليوغرافي التقليدي (المؤلف، العنوان، مكان النشر، الناشر..... سمات هذه المرحلة:

- التوثيق اليدوي لمصادر المعلومات
- صعوبة تحديث البيانات (أكثر استقرارا وثباتا)
- محدودية الوصول للمعلومات إلا من خلال المكتبات المادية
- استخدام قوائم بيانات مكتوبة أو مطبوعة.

2.4. المرحلة الإنتقالية (الببليوغرافيا المحسبة أو الرقمية): تطورت الببليوغرافيا إلى الشكل الرقمي مع إدخال الحواسيب وقواعد البيانات الرقمية. سمات هذه المرحلة:

- رقمنة مصادر الببليوغرافيا التقليدية
- استخدام قواعد بيانات إلكترونية مثل ProQuest و EBSCO
- تسهيل عمليات البحث عن المصادر واسترجاعها بطريقة آلية
- الحاجة إلى برامج متخصصة لإدارة المراجع مثل EndNote و RefWorks

3.4. مرحلة الويبوغرافيا *Webography*: وهي قائمة أو دليل للمصادر الموجودة على الأنترنت مثل المواقع الإلكترونية، المقالات، المدونات، والوسائط الرقمية.

سمات هذه المرحلة:

- الاعتماد على الشبكة العنكبوتية العالمية كمصدر رئيسي
- توثيق المصادر الإلكترونية (DOI) (URL)...
- استخدام أدوات إدارة المراجع التي تتكامل مع الأنترنت مثل *Mendley* و *Zotero*
- إمكانية الوصول المفتوح للمصادر عبر الأنترنت (Open Access)
- سهولة تحديث وإضافة مصادر جديدة.

4.4. مرحلة الويبوغرافيا المتقدمة: وتنطوي على دمج الويبوغرافيا مع تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والويب الدلالي لتطوير أدوات بحث واسترجاع فائقة الدقة.

سمات هذه المرحلة:

- الاستفادة من محركات البحث المتقدمة
- استخدام الفهرسة الآلية والتوصيات الذكية
- ظهور أدوات تحليل النصوص واسترجاع المعلومات مثل *Google Scholar* و *Semantic Scholar*
- دمج تقنية *blockchain* لحفظ الملكية الفكرية.

5. التغيرات الجوهرية في علم الببليوغرافيا:

من خلال المحطات الإنتقالية يمكن استنتاج أن التحول في الوسائط وأساليب التنظيم وطرق الوصول إلى المصادر لم يُلغِ الببليوغرافيا بل أعاد تشكيلها ووسّع وظائفها وكيفها مع بيئة النشر الإلكتروني والوصول الحر. ويمكن إجمال التغيرات الجوهرية في علم الببليوغرافيا في:

- التحول من الثبات إلى الديناميكية: فالقوائم الببليوغرافية تحدث باستمرار وتقبل التعديل
- التحول في الهدف بالانتقال من الوصف إلى الإتاحة والوصول عن طريق وصول مباشر وفوري للمصادر عبر روابط للنصوص الكاملة أو روابط تشعبية (*Hyperlinks*) للمصادر ذات الصلة
- تطور الوسائط وأدوات الوصف: التحول من حصر الوسائط الورقية المطبوعة إلى حصر الكتب الإلكترونية، قواعد البيانات، مواقع الويب، المستودعات الرقمية، الوسائط المتعددة... وتحولت القواعد التقليدية للوصف الببليوغرافي إلى اعتماد الميتاداتا (*metadata*) والفهرسة الآلية..
- تطور وظيفة الببليوغرافيا لتصبح أداة بحث واسترجاع، وجزء من نظم المعلومات وقواعد البيانات وأساس عمل محركات البحث الأكاديمية.

6. مظاهر تأثير التحول من الببليوغرافيا إلى الويبوغرافيا على البحث الوثائقي: لقد ساهم هذا التحول في:

- انتقال البحث الوثائقي إلى الفضاء الرقمي ولم يعد الباحث محصوراً في الوثائق المنشورة ورقياً فقط.
- إتاحة الوصول إلى عدد غير محدود من المصادر الرقمية والشبكية، بأقل جهد ووقت دون الإرتباط بمكان معين كالمكتبة مثلاً.
- سهولة التحقق من المصادر، وحرية الوصول للجميع (دمقرطة المعرفة).
-

ويمكن إجمال التحديات التي تواجه البحث الوثائقي في:

التحديات في الببليوغرافيا:

- صعوبة الحصول على بعض المصادر بسبب قيود جغرافية أو مالية.
- الحاجة إلى زيارة المكتبات التقليدية، أو الإشتراك في قواعد بيانات مدفوعة.
- عدم تحديث بعض المراجع بشمل مستمر، مما يؤثر على دقة النتائج.

التحديات في الويبوغرافيا:

- تفاوت جودة ودقة المعلومات المتاحة عبر الأنترنت.
- مشكلة الموثوقية وكثرة المعلومات المضللة مما يتطلب عمليات تدقيق.
- تغير الروابط الإلكترونية أو تعطيلها وبالتالي فقدان إمكانية الوصول إلى المصادر.

وأمام ضعف الموثوقية في البيئة الرقمية، وإمكانية إختفاء المصادر أو زوال الروابط وعدم عملها، فالباحث مطالب بعمليات التحقق والتقييم والتحليل المستمر لمنتجات العمل الببليوغرافي عبر الشبكة، وبالتالي الإستخدام التكاملي للببليوغرافيا والويبوغرافيا قصد تحقيق أقصى إفادة منهما.